

2015

الجباية والمجتمع في تاريخ المغرب (جوانب من تاريخ جباية المدارس والزوايا بسوس أواخر القرن التاسع عشر)

السعيد بوسكة

- جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير-المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [Social and Behavioral Sciences Commons](#), and the [Social History Commons](#)

Recommended Citation

بوسكة، السعيد (2015) "الجباية والمجتمع في تاريخ المغرب (جوانب من تاريخ جباية المدارس والزوايا بسوس أواخر
القرن التاسع عشر)", *Dirassat*. Vol. 18 : No. 18 , Article 1.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol18/iss18/1>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

الجباية والمجتمع في تاريخ المغرب

(جوانب من تاريخ جباية المدارس والزوايا بسوس أواخر القرن التاسع عشر)

السعيد بوسكة¹

طالب باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن زهر، أكادير

منذ دخول الإسلام إلى المغرب، كان سوس من أكثر مناطق البلاد انتشارا للمساجد والرباطات ومدارس علمية وزوايا اشتهرت بأدوار تعليمية وتربوية، كما اضطلعت بوظائف أخرى اجتماعية واقتصادية، بل وسياسية حين أسهمت في إنجاح مشاريع حكم تعاقبت على البلاد. كل هذه المؤسسات ما كانت لتظهر وتستمر في أداء أدوارها المختلفة من دون شرط مادي قوامه جباية القبائل، حيث شكلت الأعشار والزكوات خاصة، ومعها الخدمات المقدمة للزاوية أو المدرسة من لدن كوانين القرى والمداشر الركن المادي الذي رافق تطور حركة التعليم في المغرب بنمطيه: شعبي مرتكز على الوعظ والإرشاد وتلقين عامة الناس مبادئ الدين الإسلامي، وآخر منظم اهتم بتكوين الطلبة في اللغة العربية وجملة من العلوم الدينية، خاصة القرآن والفقه والفرائض.

وقد كان للكتابات الاستعمارية قدم السبق في تناول موضوع المدارس والزوايا بمقاربة مادية، وارتبطت مقاصدها في ذلك بسياق ظرفية تزايد فيها الضغط والتدخل الأجنبيين بالمغرب، فتميزت كتاباتهم حول الزوايا بميزتين: أولهما قراءة تاريخ الزاوية انطلاقا من التاريخ الديني لأوربا، خاصة من خلال ثنائية الكنيسة والمجتمع في العصور الوسطى، وثانيهما الاهتمام بالزاوية ليس مؤسسة دينية وحسب، بل وقوة اجتماعية مرتبطة بمختلف بنيات المجتمع، وبالتالي ضرورة فهم أهميتها، ووظائفها، ومنها الاقتصادية. والهدف من هذا الإسقاط فرض نموذج ثقافي وتاريخي يبرر الغزو الاستعماري⁽¹⁾، وتسهيل مشاريع السيطرة والتهذبة⁽²⁾.

¹ تحت إشراف الأستاذ شفيق أرفاك

(1) يقدم لازارف بيبيلوغرافية بأسماء باحثين استعماريين اهتموا بالجانب الاقتصادي في تاريخ الزوايا، وحاولوا تكريس إسقاط التاريخ الأوربي على المغربي: كريكورى لازارفه *الإقطاعات العقارية في المغرب: مساهمة في دراسة تكوين الممتلكات العقارية بالبوادي المغربية*، ترجمة اليزاز محمد الأمين وعبد الله التمساني خلوق، مجلة دار النبابة، العدد 8، 1985، ص. 48.

(2) أعلن ميشو بلير هذه الغاية الاستعمارية في مستهل واحدة من مقالاته التي دعى فيها إلى عمل جماعي دقيق طويل الأمد حول تاريخ التصوف والزوايا مغيد لسياسة فرنسا بالمغرب.

Michaux Billaire (E) : *Conférences Faites Au cours préparatoire du service des Affaires Indigenes*, in Archives Marocaines, XXVI, 1927, p1.

عن: الراجي خديجة، مساهمة في تاريخ الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس (1460-1564)، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1993، ص. 11.

إن تناول موضوع الجباية في الزاوية والمدرسة يستوجب عدم الإغراق في التحليل المادي من دون استيعاب مستوى آخر رمزي. فحينما ندرس الشأن الاقتصادي، يحضر في العادة قاموس خاص تميزه لغة الأرقام والحساب، ومفردات من قبيل الربح والخسارة، والمداخيل والمصاريف، وسائل الإنتاج...، لكن في الزوايا والمدارس يختلط هذا القاموس المادي مع آخر رمزي، فهنا تتدخل الكرامة والرؤيا والبركة والولي، وهي مستمدة من قاموس ديني صوفي، لكن مكاسبه المادية كانت حاضرة، بل ومحورية في جباية هذه المؤسسات، لذلك يجد الباحث نفسه في هذا الموضوع أمام ثنائية (مادي/ رمزي)، مما يفرض توظيفاً لا يصل بها إلى الافتراض والتخيل، أو على العكس، حد التهجين من قيمتها إلى درجة إقصاء دورها في البحث التاريخي.

1 - جباية المدارس والزوايا بسوس بين مساهمة القبائل ودور الشيوخ:

1-1 - المدرسة العلمية مؤسسة قبلية:

لم تخل قبيلة بسوس من مساجد ومدرسة علمية أو أكثر⁽³⁾، حيث تنافست القبائل في إحداثها والحرص على استمرار وظائفها، فكانت مؤشراً على مكانة القبيلة وسمعتها، بل صارت معياراً للحظوة والاحترام بينها، أو سبباً واستهزاءً من بعضها⁽⁴⁾. لذلك اعتبر تمويل ورعاية هذا المرفق بأنواع كثيرة من الجبايات دائمة منتظمة أو استثنائية، مسؤولية الجماعة، وقد شكلت الأعشار والزكوات عادة سنوية وأبلغ تعبير عن هذا الاهتمام .

كانت القبائل بسوس تقدم لمدارسها نصيباً من الأعشار حين الحصاد، والشائع اقتطاع ثلثها كل سنة إلى المدرسة لتمويل إطعام الطلبة ومشارطة الفقيه، لكن الثلث ليس عادة كل القبائل، فالنسبة قد تنخفض حتى السدس أو الثمن، والسبب أن الموضع الواحد قد يضم كثيراً من المشاهد والرباطات والزوايا و أضرحة الأجداد، بل حتى مدارس أخرى منافسة تتقاسم معها أعشار القبيلة⁽⁵⁾. والواجب أيضاً قابل للزيادة حتى النصف استثناءً في بعض القبائل⁽⁶⁾. وقد قدم محمد بن أحمد المانوزي، أحد الفقهاء الذين شارطوا في كثير من مدارس سوس⁽⁷⁾ وصفا مفصلاً لطريقة جمع الأعشار في المدارس: "وكيفية القيام بها أن يلتزموا على أنفسهم لكل كانون ثلث

(3) حول أهم المدارس العلمية بسوس راجع: السوسي محمد المختار، سوس العالمية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960.

(4) مثلاً سخرية الإبلانيين من التمليين: السوسي محمد المختار، المعسول، ج17، ص26.

(5) هذا حال المدرسة الإلغية التي أسسها محمد بن عبد الله الإلغي سنة 1297 / 1879 في بداية عهدها: السوسي محمد المختار، المعسول، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ج1، ص169.

(6) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، صص240-421.

(7) كتب هذا الفقيه سيرته الذاتية، وأوردها المختار السوسي كاملة في المعسول: ج3، صص240-421.

زكواتهم وأعشارهم أو ربعها أو أقل أو أكثر، بحسب قلة القبيلة أو كثرتها، وقلة طلبتها أو كثرتهم، فيكتبون ذلك كله مع ضوابط المدرسة والأسواق والحصون في سجل خاص، يسمونه سجل الأعراف لجمعه ضوابط وقوانين صارمة، لا يتسامح فيها عند حدوثها في الثلاثة المتقدمة، فإذا فرغ الناس من جمع اندارهم وبيادرهم آخر دراسهم لحبوبيهم، اجتمع أشياخ القبيلة مثلا المسمون عندهم بالنفائيس [...] عند رئيس المدرسة وفتيها الذي هو رئيس تلك الجمعية، فيحسبون كوائن القبيلة حتى يعرفوا مازاد منها وما نقص، ويحاسبوا الجميع على مقدار ما عندهم من أرانب القمح والشعير من الأعشار، فيعينون يوما معلوما للإتيان بها إلى المدرسة [...] فمن لم يأت بها إلى غروب شمس ذلك اليوم أو إلى أجل معلوم عندهم، فإنه يعاقب بمقدار المال المكتوب في سجل القوانين المذكور. ويأتون معها بما يلتزمونه للفتية. مما يسمونه شرطا من زرع وإدام ودرهم وصوف وغنم وغير ذلك مما رسم في السجل، فإذا فرغوا من ذلك بعد يومين أو ثلاث مثلا، تفقدوا طلبة المدرسة، فمن كان غريبا عرفوه، ومن كان أهليا عرفوه" (8).

تبرز هذه الشهادة أن الأعشار والزكوات المقدمة للمدارس العلمية لم تكن مجرد مساهمات خيرية مرتبطة بالأمزجة والرغبة الشخصية. بل شكلت جزءا من النظام العام للقبيلة الذي تخضع له جميع الكوائن سنويا: في عمليات إحصاء الإنتاج، ثم حين جبي المحاصيل، والذي يباشر الملمزمون أنفسهم بنقله إلى مخازن المدارس، وفوق الجميع قوانين عرفية محورها فرض الالتزام واحترام الواجب عن طريق الردع بالعقوبة المالية⁽⁹⁾، ولا يوقف هذا الارتباط بين المدرسة والقبيلة إلا مستجد فوق قدرة الجميع، ويوافق عادة زمن الكوارث الطبيعية. وكانت قبائل سوس تعتمد إحدى طرق ثلاث في خرص المحاصيل لتحديد الواجب على كل كانون⁽¹⁰⁾:

(8) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج 3، ص 267.

(9) دار نقاش فقهي حول العقوبة بالمال يؤكد أهمية هذه الآلية للفقهاء والمرابطين، ليس في المال الذي يجبي في حالات نادرة، وإنما دورها في استمرار عوائد القبائل المادية والخدماتية اتجاه مدارسهم وزواياهم. راجع: عبد الرحمن، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، مطبوعات السننيسي، 1999. العبادي الحسن، فقه النوازل في سوس، قضايا وأعلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999. العثماني محمد، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طبعة 2004، ص 82 وما بعدها.

(10) ذكر الفقيه عبد العزيز الأودوزي في مخطوط له لم يحقق بعد أنواع الخرص الثلاث في فتوى حول أجرة المعلم المنتصب للإمامة.

طرق خرص الواجب إلى المدارس العلمية بسوس

طرق الخرص والجبي	مضمونها
ماء السقي	<p>- كان يحدد الواجب على كل ملزم بحسب توزيع أنصبة ماء السقي داخل القبيلة.</p> <p>- تأخذ هذه الطريقة بعين الاعتبار الفروق في الممتلكات بين الكوآنين، وعلى أساسها توزع حصص المساهمة في مال المشاركة والإطعام.</p>
الكانون	<p>- يحدد الواجب السنوي للمدرسة، فيوزع على عدد الكوآنين في القبيلة أو البلدة أو المدشر.</p> <p>- تجعل هذه الطريقة مستفاد المدرسة من الجهة المانحة ثابتا معلوما لا يتغير إلا بأزمة في الإنتاج.</p> <p>- لم يراع هذا التوزيع الفروق في وسائل الإنتاج والثروة بين الكوآنين، لكن تأثير هذا الإشكال حجبته قيمة المساهمة أو حجمها المتواضع.</p>
الإنتاج	<p>- يحدد الواجب على أساس الإنتاج في كل كانون، وكانت العادة في معظم مدارس سوس الأقصى صاعا من كل غرارة "شواري".</p> <p>- جعلت هذه الطريقة مدخول المدرسة معرضا للانخفاض زمن أي كارثة طبيعية.</p>

وإذا كانت بعض القبائل تمنح للفقهاء سلطة مطلقة في أعشارها، حيث نقلت إليهم كل مسؤوليات ادخار الواجب ومباشرة مهام إيواء وإطعام الطلبة حولًا كاملاً. فقد اعتادت أخرى على نقل هذه المهام كلها لكوآنين القبيلة، وهذا ما عرف باسم الرتبة، حيث تتكلف كل أسرة في القبيلة بطالب علم، فتزوده يوميا بما يلزم من طعام، على الأقل وجبتين في اليوم. وقد انتشرت هذه الخدمة التعليمية في القبائل الميسورة بسوس، ففي رأس الواد، على سبيل المثال، شكلت هذه العادة السبب الأساس الذي به عمرت المدارس والمساجد بالطلبة الغرباء من الأطلس الصغير الغربي وأيت باعمران⁽¹¹⁾. وغالبا ما تتحول الرتبة من واجب جماعي اتجاه الطلبة يزواج بين الإطعام وخدماته إلى علاقات بين الطالب والكفيل قد تصل إلى المصاهرة والتملك في

(11) عن سيرة المائوزي: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، ص280.

حالات المحتضن غير المعقب.⁽¹²⁾

وفضلا عن الجباية العينية عادة والمالية نادرا، كانت القبائل بسوس تقدم للمدرسة وظيفة جبائية أخرى متمثلة في الخدمات الجماعية القائمة على مجهود عضلي تقوم به كوانين القبيلة عند الحرث والري والحصاد في الأملاك المحبسة على المدرسة/الزاوية، أو الأملاك الخاصة بالفقيه إذا كان ذلك من شروط المشاركة بينهما⁽¹³⁾، إلى جانب جلب الحطب أو الماء أو نقل الأعشار من قبائل أخرى، زد على ذلك أعمال الصيانة وإضافة مرافق أخرى إذا توسعت المدرسة. وغالبا ما تمتد الكلفة أيضا إلى الطلبة.

وكانت بعض القبائل توجه ثلث الأعشار لإطعام الطلبة، أما مال المشاركة مع الفقيه فيوكل إلى مستفاد ما يجبي من الباعة والمشتريين بالأسواق: ففي هشتوكه وبمدرسة إذا محمد مثلا، تؤخذ مشاركة الفقيه من الكياليين في الأسواق، بجمع ما تتأثر من المكاييل عند الوزن، واعتباره أجرة الفقيه، وفي نظرهم ذلك يضمن سلامة البائع والمشتري من كل غبن أو نزاع. أما قيمة المشاركة فمهمة بأهمية الموضع السهلي الغني حيث هذه القبيلة⁽¹⁴⁾.

وفي المواضع الجبلية المقالة، كانت المدارس تعتمد في مداخلها، فضلا عن الأعشار المتواضعة، على واجب أسبوعي أو موسمي منتظم: فالمدرسة الإلغية فرضت على طلبتها ضريبتين الأربعاء والعواشر، كل بما تيسر، وقد كان الشائع بيضة في الأربعاء، وقرشا في العواشر، ثم الدراهم بعد ذلك. وقبل يوم عاشوراء، ومتى أعلن الفقيه أيام المناسبة، يجهز الطلبة لوحة مكتوب عليها آيات قرآنية، ويغلفونها بزيف أحمر أو أرقط، فيجعلونها فوق قسبة، فيحملها أحدهم فيدورون بها أمام الديار بقفة كبيرة يجمعون فيها الزرع الذي يعطى لهم مقابل التبرك باللوحة⁽¹⁵⁾. فهذه الأشكال الجبائية البسيطة كانت تعبر عن موضع ضعيف الموارد، وعن وسائل المدارس للبقاء في وسط مقال.

(12) ويذكر المختار السوسي أن هذه الظاهرة كانت أيضا في هشتوكه وقبائل أخرى حول تارودانت: خلال جزولة، م س، ج3، ص172.

(13) السعدي المهدي، م س، صص 181-194.

(14) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج13، ص189.

(15) نفسه، ج1، ص57.

اتخذ هذا العمل البسيط شكلا أكثر تطورا حينما كان الشيوخ أنفسهم يخرجون في جولات بمبادرة منهم أو بطلب من قبائل الرحل خصوصا، وحتى مناطق أبعد مثل درعة وتافيلالت لعرض خدمتهم المتمثلة في الدعاء الصالح. ويسمي دوفوكو هذه الجولات "الذهاب لأجل التبريك"، وما يتحصل عليه هؤلاء بالإتاوات: شارل دوفوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بالعربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ج1، ص220.

1-2 - جباية المدارس العلمية في سوس بين السهل والجبل:

كان الوضع المادي للمدارس العلمية بسهل سوس أفضل من مثيلاتها بالمناطق الجبلية، فمدرسة إذا محمد بهشتوكة كانت تحت إشراف قبيلة كبيرة نيف عدد كواينها على الإثنى عشرة مائة كانون في منطقة سهلية توفرت خيراتها، وكثرت أعشارها، حتى إن عدد مطامير المدرسة وصلت إلى ثمانين مطمورة، الواحدة منها كانت كافية لقوت الفقيه والطلبة حولا كاملا⁽¹⁶⁾. ولم تكن هذه المدرسة استثناء، فمعظم مدارس الفحص كانت لها مداخيل كبيرة إلا إذا استجد ظرف طبيعي بجفاف أو زحف جراد... ومن مؤشرات الثراء مجاورة كثير من المدارس الكبرى لأسواق هامة في تجارة سوس وخارجه، كما أن الطلبة قد يحظون، إلى جانب الإطعام، بنصيب من بعض المزروعات والمغارس، ففي رأس الواد لم تكف القبائل باحتضان الطلبة الأجانب طيلة سنوات تعلمهم بالمدرسة، بل كان لهؤلاء نصيب معلوم من كل زيت يعصر بالقبيلة⁽¹⁷⁾. وفي المواضيع الجبلية، تعدد أنواع الجباية لا يعبر عن ثراء بقدر ما يؤثر على الاقتصاد المقلل وحالة العوز التي تدفع المدرسة للبحث عن كل منفذ يوسع أرزاقها لتفي بحاجة طلبتها عاما كاملا، فمع الأعشار الهزيلة التي تنقسمها المدرسة مع كثير من المشاهد والأضرحة والزوايا المجاورة، يستعين الفقيه بواجب الأربعاء وطقوس عاشوراء، بل يخرج الطلبة سنويا في جولات لجمع المعونات من مواضع بعيدة زرا أو زيتا⁽¹⁸⁾. مما يدل على عجز القبيلة وحدها على الإيفاء بجبايات المدرسة: فحين أسس محمد بن عبد الله الإلغي مدرسة إلغ منتصف عام 1297، كادت أن تغلق أبوابها من العام الأول، غير أن نجاح الشيخ في توسيع منافذ العطاء أسهم في استمرار وإشعاع واحدة من أهم مدارس سوس أواخر القرن 19 وبداية 20، ومن القبائل التي كانت توجه إليها نصيبا من الأعشار والخدمات في السنوات الأولى من تأسيسها أواخر القرن التاسع عشر⁽¹⁹⁾:

(16) السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ج4، صص20-21.

(17) السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ج4، صص20-21.

(18) ميز المانوزي بين الكتاب والمدرسة، المكاتب قد تقوم بتدريس كل ما يأخذ الطلبة في المدارس، لكن الفرق بينهما أن الكتاب ليس له موارد من زكوات وأعشار. راجع رواية محمد بن أحمد المانوزي في المعسول، ج3، ص276.

(19) السعيد المهدى، م س، ص125.

مصدر معلوماته رواية شقوية عن محمد بن الحسين بن علي الإلغي، والمعسول في الصفحتين 125 و169 من الجزء الأول.

القبيلة	مساهمتها في المدرسة
آل تاكنزا	ثلث الأعشار
آل تاجرمونت	ثمان الأعشار
آل اغويد وأسيف مقورن	الحطب للزاوية

هذه أبرز أنواع الجبايات التي أسهمت في ظهور المدارس واستمرار إشعاعها العلمي والصوفي، وفي أدوارها الأخرى قرونا طويلة، غير أن كل المدارس لم تكن تحظى بجمع كل هذه الأصناف من القبيلة المحتضنة أو الأخرى الداعمة. والملاحظ أن مدارس المناطق الجبلية كانت أكثر سعيا في تنويع مداخلها، وتوسيع قاعدة تمويلها، عكس المناطق السهلية حيث أعشار قبيلة واحدة كافية لتغطية حاجيات مدرسة أو أكثر. لكن تحول الزاوية والمدرسة إلى مستوى آخر أشبه فيه بمؤسسات اقتصادية، ارتبط بإشعاعها العلمي ودورها الاجتماعي، وبظواهر التوقير والاحترام المخزنية التي نفذت لها أعشار القبائل كاملة بدل انصبه لا تتجاوز في أحسن الأحوال ثلثها.

1-3- علاقة وظائف المدارس والزوايا بالجباية:

■ **وظيفة التعليم والأبعاد الجبائية:** اهتمت الرباطات الأولى في المغرب بمسألة التعليم، واستهدفت من هذه الوظيفة الدفاع عن الملة الإسلامية من كل خطر خارجي، وكذا تصحيحها وحمايتها من كل أشكال "الانحراف" الديني، ثم استمرت الزوايا في الاهتمام بوظيفة التعليم التي ورثتها عن الرباطات، بل حاولت تطوير ممارستها " **وفق شروط أكثر وضوحا [...]** عبر **مقروعاتها وموادها المدرسية وفقهاؤها المتقدمين للتحصيل، كما استقطبت المتعلمين من كل الآفاق موفرة لهم شروط التعليم والإقامة**"⁽²⁰⁾. وإلى جانب الدور الديني والعلمي لوظيفة التعليم، كان لها كذلك بعدا ماديا لا يمكن غض الطرف عنه، حيث شكل بعض المريدين بعد تخرجهم شبكة امتداد نفوذ الزاوية وإشعاعها، ولا تقتصر علاقاتهم مع شيوخهم على مستوى الولاء الطرقي والعلمي (علما الظاهر والباطن)، وحتى العاطفي، بل تمتد إلى ارتباط مادي جسده الهدايا المنتظمة أو الاستثنائية التي كان يقدمها طلبة الأمس لشيوخ الزاوية. وحرص هؤلاء على استمرار ورود الهدية من الفروع، سواء بقدوم القيمين عليها إلى الزاوية الأم في أوقات معلومة توافق عادة زمن المواسم، أو بخروج الشيخ أو من ينوب عنه - وعادة من أبنائه - لجمع

(20) المازوني محمد، وظائف الزاوية المغربية: مدخل تاريخي، ضمن: الزوايا في تاريخ المغرب، مجلة فكر ونقد، العدد 94، ص60.

الواجب. وفضلا عن مسؤولياتهم في نشر طريقة الزاوية، انشغل المقدمون في الفروع بجمع الهدايا والزيارات، والواجب من أعشار و زكوات، بمقتضى الظواهر التي حظيت بها الزاوية الأم من المخزن، وكانت مداخيلها توزع بين نفقات الفرع في الإطعام والتجهيز المتواضع وأجور الأساتيد، وبين باق يوجه إلى الزاوية الأم⁽²¹⁾.

وقد كان للرسائل التي كان يتبادلها الشيوخ مع مقدمي فروع زواياهم وأعيان القبائل حيث توجد، قيمة هامة في الكشف عن العلاقات المادية التي جمعت بين الزاوية وفروعها، وهذا ما يؤكد أن تأسيس الفروع لم يكن قرارا فرديا مهما بلغت درجة أحدهم ومرتبته في الطريقة، فلابد من إجازات الشيوخ المقرونة عادة برسالة موجهة للقبيلة المعنية، حتى إن الأمر يشابه أحيانا مضمون التكليف السلطاني لقواد القبائل، ولتأكيد هذا القول نستشهد برسالتين كلتاهما من شيخ الزاوية التمكنيدشيتية: أما الأولى، فمن الحسن بن احمد التمكنيدشيتي موجهة إلى قبيلة ايت مزال في أوائل ربيع الأول 1294 ويقول فيها: " ... وبعد، فإننا وجهنا إليكم أخاكم الفقيه سيدي احمد أوجمل المزالي، ليعمر مدرستكم بالجهاد في دين الله، وتدرس العلم الشريف، وعليه فمن امتثل منكم لكلامنا هذا فالله يعطيه خير الدارين، ومن لم يمثل فالله حسيبه وولي الانتقام"⁽²²⁾.

لقد حمل خطاب الشيخ صبغة تكليف للفقيه، كما تعبر عنه عبارة "وجهنا إليكم"، وطبيعة الإلزام للقبيلة، فهي لا توجه نصحا بقبول الفقيه أو استئذان في ذلك، بل أمر يستوجب الامتثال، وباللغة التي تزاوج بين الترغيب والترهيب كما خبرناه في الوثيقة المخزنية. أما نموذج الرسالة الثانية، فالخطاب موجه للفقيه المعني، كما نقرأ في الإذن الذي قدم من شيخ الزاوية ذاتها إلى الفقيه مسعود المعدي "أدنا لحامله الفقيه [...] مسعود المعدي في جميع ما أدنت به السنة المطهرة [...]، وأدنا له في التعليم والإرشاد وإصلاح ذات البين ووعظ المسلمين، ودعائهم إلى القيام بواجب أمور الديانات"⁽²³⁾. يفصح المكتوب عن الإذن الذي حصل عليه المعدي لفتح فرع للزاوية، لكن الخطاب هنا أخف من الرسالة الأولى، فلا يلزم القبيلة، إنما يدعوها للقيام بواجب الديانات، وأي شيء غير الأعشار والزكوات والخدمات يمثل هذا الواجب؟

(21) هذا ما كان يأمر به المخزن القيمين على أملاك الزوايا في الفروع حينما يشتكي أحد شيوخ الزاوية الأم على مقدم الفرع، منها مثلا ظواهر إلى مقدمي الزاوية الناصرية بسوس. راجع: ظهير من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى الشيخ أبي بكر الناصري بتاريخ 5 ذي الحجة، متم 1862/1279، وثائق زاوية تامكروت، أورده عبد العزيز الخليلشي، زاوية تامجروت والمخزن 1642-1914، ندوة الرباطات والزوايا في التاريخ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، 1997، ص149.

(22) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج14، ص10.

(23) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج10، ص10.

ولا يمكن افتراض الولاء التام أو على الأقل الدائم لمقدمي الزاوية في الفروع، خاصة مع انقراض الشيوخ الأوائل، وبداية تجدر الشأن الاقتصادي وأهميته زمن الشيوخ اللاحقين، وعادة ما ينطلق بعض القيمين على الفروع من مشاكل الزاوية الأم زمن الصراعات حول المشيخة للاستئثار بمستفاد زواياهم، وهذا يستوقفنا عند آيتين اثنتين اعتمدهما الشيوخ لدوام الوصل المادي للمقدمين مع الزاوية الأم: أولهما سلطة الولي الروحية التي مثلت آلية لضمان استمرار توصل الزاوية بأنصبة الفروع، سلطة عكسها العدد الكبير من الكرامات التي لا تخلوا منها كتب المناقب، وزوجت بين الترغيب والترهيب للجم نوايا مقدمي الزاوية بالتصرف في مداخيل مواضع استقرارهم من دون إذن، وعلى سبيل المثال لا الحصر، مقال مقدم على جباية زاوية بأحد الفروع شيخه يسمع حس النملة في الساقية الحمراء وهو بسوس كما يسمع أحدهم حس الدابة إذا مرت حذاء أذنيه؟⁽²⁴⁾ وثانيها أن الشيخ يجد نفسه أحيانا مجبرا على الاستعانة بسلطة المخزن المادية لردع هؤلاء⁽²⁵⁾.

لقد كانت كلفة التعليم آلية لامتداد نفوذ الزاوية الروحية ومعه المادي، وفي مرحلة من هذا التوسع، قد تصبح الزاوية في أمس الحاجة للمخزن حتى تضمن ولاء الشبكة لمركزها. لكن إذا كان من الواضح إسهام التعليم فقها وتصورا في الثراء المادي لبعض الزوايا، فما وقع نظم مؤسسات هذا الركن المادي على الحركية العلمية وعلى تاريخ الذهنيات بسوس والمغرب عامة لقرون طويلة؟

■ **الإطعام بين الكلفة والأبعاد الجبائية:** يعد الإطعام من وظائف عدة رافقت الزوايا منذ ميلادها، وشكل مظهرا معبرا عن التحول الذي شهدته الحركة الصوفية في العالم الإسلامي من عمل زهد واعتزال أفراد، إلى مرحلة جماعة ومأسسة⁽²⁶⁾، وقد دافعت الزوايا عن شرعية هذه الوظيفة، فلم تعتبرها حدثا طارئا أو بدعا مستجدا، ولكن أكدت على أصولها الدينية، من حيث مقاصدها في نشر العقيدة ومساندة المحتاجين...، أو من خلال التنظيم: حيث استشهدت على سنية الإطعام الجماعي وتنظيمه من خلال ما كان بين الرسول ﷺ والأنصار والمهاجرين⁽²⁷⁾.

(24) من كرامات الحسن التليي الايرازاني كما ذكرها أحد مريديه أحمد بن احمد التجاكانتي ونقلها صاحب المعسول، م س، ج19، ص57.

(25) سيأتي بعض ذلك حين الحديث عن علاقة جباية الزاوية بالمخزن.

(26) إن الإطعام قديم، وكان ملازما لأول الرباطات التي ظهرت بالمغرب، ويظهر هذا من الإشارات الكثيرة في كتب المناقب. راجع مثلا: ابن الزيات (يوسف التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، الدار البيضاء ص219.

(27) ناقش اليوسي شرعية الإطعام في مؤلفه المحاضرات، ص130، الشادلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، سلسلة أطروحات ورسائل، جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا، 1989، ص193.

وقد اهتم باحثون أجانب بوظيفة الإطعام في جانبها الاقتصادي، ومنهم دوفوكو⁽²⁸⁾، وميشل نكولاس الذي وصف تمكروت بأنها "عبارة عن قصر كبير مسور يأوي ما يناهز 2500 نسمة أغلبهم كان من العلماء والطلبة، كانوا يعيشون من الهدايا والزيارات التي كان المؤمنون البرابرة وغيرهم يقدمونها كل يوم"⁽²⁹⁾. وقد كانت هذه الجموع التي تعيش من مداخيل الزاوية تنزع إلى الاتساع، بفعل تعدد الزوجات الذي كان يزيد بسرعة من نسل الأولياء، فضلا عن استقطاب عدد كبير من الأتباع والطلبة للتعليم والتربية، ولأجثين يأوون إلى حرم الولي، وخداما وعبدا، إلى جانب تدفق دائم للزوار، وكلها أفواه تعتمد على موارد الزاوية في إعالتها، وهنا تظهر الحاجة إلى سوس وغيره من المناطق. وشكلت نفقات الإطعام عبئا ماديا ذي بال في اقتصاد الزوايا يتنامى بتكاثر النسل داخل مجالها، ويتزايد نفوذها وإشعاعها الخارجي، لكن في الوقت نفسه شكل العبء حافزا بالنسبة لها "لاستثمار" كل مقدراتها ورأسمالها الروحي لتوفير مستلزمات الوظيفة، التي استمدت جاذبيتها ليس فقط من آليات الجمع والادخار والإنفاق، بل كذلك من واقع تعاقبت فيه الكوارث بنوعها الطبيعية والسياسية⁽³⁰⁾، حتى تحول الإطعام في مجتمع ألف ندرة الحاجة أو انقطاعها من واجب لسد رمق الجوعي إلى كرامة سينتكرها هؤلاء زمن الرخاء بهداياهم وزياراتهم، وهنا يصير الإنفاق آلية للمكاسب الروحية والمادية⁽³¹⁾.

ويستوجب الإطعام كذلك توسيع الزاوية علاقاتها لتطوير مداخيلها، سواء مع القبائل، أو مع المخزن، فلم تعد الوظيفة شأنا خاصا بها، بل أصبحت متجددة في أعراف القبائل كجزء من مسؤولياتها⁽³²⁾، وكذلك المخزن الذي ربط ظواهر التنازل لها عن جمع الواجب بشرط إنفاقه على فقراءها⁽³³⁾، إذ يتحول الإطعام إلى تفويض منه لهذه المراكز.

ورغم العبء الكبير الذي ينتج عن الإطعام، والذي يستوجب استنفار الزاوية لكل إمكانياتها

(28) يقدم دوفوكو إشارات مقتضبة لكن مهمة عن التطورات التي لحقت بالإطعام في السوس الأقصى أواخر القرن 19 عقب انهيار التجارة مع بلاد السودان، خاصة الصعوبات التي باتت تعرفها الزوايا المتاخمة للصحراء بتيسين وأقا وطاطا: شارل دوفوكو، م س، صص 220-221.

(29) ميشيل نيكولاس، م س. الأملاك الموهوبة لسلالة الصلحاء، ترجمة هشام محمد، مجلة أمل، العدد 22-23، ص 104.

(30) البزاز محمد الأمين، م س، ص 347.

(31) إطعام الحسن الايرازاني الطلبة والعهد الكبير من الضيوف أربع مرات في اليوم عدها الراوي إحدى كرامات الشيخ المتداول بسوس. حول هذه الكرامة راجع: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج 19، ص 54.

وحول الإطعام والكرامة راجع: المازوني محمد، م س، صص 59-60.

(32) كانت أعراف سوس خلال القرن التاسع عشر غنية بالمواد التي توضح الخدمات التي تقدمها القبيلة للزاوية. راجع على سبيل المثال عرف جماعة آل بيهي أحيى بأيت باعمران بتاريخ منتصف شعبان 8/1290 أكتوبر 1873. أورده: المحمدي علي، السلطة والمجتمع نموذج أيت باعمران، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، صص 81-84.

(33) اقترن جمع الواجب في كل الظواهر الموجهة للزوايا بعبارة "توزيعها على فقراءها".

وعلاقتها، إلا أن للوظيفة دلالات، فلا تقبل إلا من شيخ الزاوية، ومن حاول دونه الإطعام الدائم إنما يتشوف مزاحمة على المشيخة، وإظهارا للمعارضة، أما قبول الطعام من الفقراء والطلبة والزوار فهو إعلان ولاء وبيعة. وهذا الوضع نلاحظه عادة زمن الصراعات على المشيخة، كما حدث بالزاوية التيمكيدشتية عقب وفاة الحسن بن أحمد التيمكيدشتي سنة (1297هـ/1880م) بين ابنته خديجة وابن عمها الحنفي بن أحمد⁽³⁴⁾.

■ **الزيارة والبركة:** انطلقت الصوفية من حديث "من زار مسلما محبة له في الله أحبه الله"⁽³⁵⁾، ثم ربطوه بزيارة الأضرحة والأولياء وشيوخ الزوايا⁽³⁶⁾. ونميز بين نوعين من الزيارات تحصلت عليهما الزوايا: منتظمة كانت تدفعها القبائل، وأخرى استثنائية ترد إليها من السكان أفرادا وجماعات. و لم ترتبط الزيارة دائما بشيخ على قيد الحياة، بل حتى الأولياء المتوفون، ومع هؤلاء قد تمتد الزيارة لمسكنهم، أو أجزاء من مخلفاتهم: لباسا، أو نعشا... وقد حظي هذا النوع من مداخيل الزوايا باهتمام الكتابات التاريخية الأجنبية، فهناك من حاول أن يبعد عنها صفة الخصوصية، واعتبرها صورة من صور الاستلاب الذي فرضته المؤسسات الدينية على السكان في مختلف المعتقدات، و لم يجد حرجا في تسميتها بإتاوة الأسياد، وهو ربط مستمد من تاريخ الكنيسة بأوربا خلال العصور الوسطى⁽³⁷⁾.

وحاولت الكتابات الأجنبية الاستشهاد بجملة من القرائن لتؤكد على أن هذه الزيارات التي تبدو في الظاهر عملا اختياريا ومبادرات شخصية من الأفراد والجماعات، في حقيقتها شكلا ضريبيا مفروضا على هؤلاء يختفي تحت واقع مفعم بالطقوس والرموز الروحية. ومن جملة ما أورده هؤلاء للتأكيد على زعمهم، طابع الديمومة والانتظام في الزيارة، فكان زمن تقديمها معلوما، وعادة يوافق أيام المواسم الدينية، ثم تدخل الشيخ لتحديد نوع الزيارة وقيمة الواجب. وأخيرا أن هذه الزيارات لم تشكل فقط مدخولا ينفق على الزاوية ووظائفها المختلفة، ولكن تحول فيما بعد إلى حق لحفدة الشيخ، يطالبون به ويوزعونه ويورثونه بينهم⁽³⁸⁾.

لا نختلف مع هذه الكتابات في كون الزيارة شكلت مالا يجبي للزوايا، لكن ليس بالمفهوم

(34) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج 6، ص 304.

(35) أورد الشاذلي عبد اللطيف الحديث الشريف دون الإشارة لمصدره، م س، ص 190.

(36) ارتبط القدوم إلى المواسم والزوايا بخطاب مناقبي غني بسوس، راجع فقط ما ذكر منه في ترجمتي الحسن بن أحمد التيمكيدشتي (المعسول، ج 6) والحسن التيملي الأيرازاني (المعسول ج 19). فمن فضائل الشيخ الثاني حسب مؤلف مناقبه التاجكانتي أنه من رأى وجهه اعتقه الله وأبويه وسبعين من أقاربه من النار، وكتبت له عبادة ستين سنة. المعسول، ج 19، ص 50.

(37) كريكوري لازارف، م س، ص 48.

(38) ميشيل نيكولاس، م س، ص 104.

الضريبي الذي اعتمدوه: "إتاوة للأسياد" أو "جزية"⁽³⁹⁾... لأنه من الضروري التنبيه على الخلط الذي وقع فيه هؤلاء بين الواجب الذي كان مفروضا على بعض القبائل من زكاة وأعشار حسب ما أقرته القبائل في أعراقها أو ظواهر المخزن لفائدة الزوايا، وبين الزيارات التي كانت القبائل تحملها طواعية للزاوية ومتحمسة في ذلك لمقاصد دينية، سياسية، اقتصادية اجتماعية وحتى شخصية مثل الندوي أو جلب منفعة أو رد مضرّة، وهي الحاجة التي يجعلها مفهوم البركة. ولا يمكن فهم الزيارات وتصحيح نظرة الكتابات الأجنبية التي اعتبرتها نوعا من الجبايات إلا بالتوقف عند هذا المفهوم⁽⁴⁰⁾، والذي أخذ مكانته في تاريخ المجتمع المغربي، وقيّمته في رأسمال الزوايا الروحي وأبعاده المادية من واقع تميز بتوالي الكوارث وتعاقبها، طبيعية كانت أو سياسية، حتى أصبح التبرك بولي أو أكثر أمرا شائعا لدى عامة الناس وخاصتهم، بمختلف فئاتهم الاجتماعية، ومهما تفاوتت مكانتهم العلمية والسياسية، فالبركة زيادة في الذرية، نماء في المحصول، نقي بأس حركة، وترفع مسغبة، وانتشار وباء... وهي ميزة الولي الخارقة حيا أو ميتا، وغاية تستحق تقديم الزيارات والهدايا لتحقيقها، لذلك يمكن اعتبار الزيارة مالا يجبي مقابل خدمة التبرك اتخذ صفة الانتظام في المواسم، وليس ضريبة فرضها الشيوخ على السكان.

■ **موارد الوساطة والتحكيم:** إلى جانب الزيارات، هناك الهدايا التي كان يقدمها أفراد كانت لهم ثروات تسهم في تعزيز مداخل الزاوية، ومن هؤلاء الشيوخ والقواد المحليين. ففي سوس كما في جهات كثيرة بالمغرب، كان ارتباط أعيان القبائل بالزوايا أمرا مألوفا⁽⁴¹⁾. وقد تصل الهدية إلى تنفيذ ما لم ينفذه السلطان من زكوات وأعشار⁽⁴²⁾. ومن جهة أخرى، كان هؤلاء الخاصة، وحتى العامة في حاجة للاحتماء والأمن في المال والنفس والولد زمن الفوضى التي كانت تجتاح البلاد بشكل مستمر، بحيث شكلت الزاوية مأوى للاحتماء من كوارث الطبيعة، ومن الخصوم المفترضين: قواد، أو قبيلة معادية، أو محلة وحركة مخزنية. ولا يكفي شيوخ الزوايا الكبرى بانتداب أبنائهم أو مريدين مقربين لفتح فروع وحث القبائل على تعميرها بجباياتهم، بل امتدت سلطة

(39) نفسه.

(40) العروي عبد الله، العلاقة بين الزوايا والمخزن في مغرب القرن 19، ترجمة نوال متزكي، مجلة أمل، م س، ص13، انظر كذلك: الشادلي عبد اللطيف، م س، ص18. 197. عبد الأحد السبني، النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من ق17م حتى بداية القرن 20م، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، صص 41-43.

(41) يقول المختار السوسي في رواية عن الشيخ عابد المرابطي العلمي "أنه يصبح كل يوم بباب مدرسته أزيد من عشرة ذبايح من ثور وكبش وديون ذلك من المواهب التي ترد عليه من القبائل كل واحد لحاجة، فمن ذابح قصد التوسط في الهدنة والهاء، ومن قصد إن كان شيخ القبيلة أو قائد أن يوفق بينه وبين آخر، أو قبيل ذلك، أو كان منفيا يرجع إلى داره، أو غير ذلك". المعسول، م س، ج20، ص154.

(42) مثل مرسوم سعيد الكيلولي الذي نفذ لعل بن عبد الله الإلغي أعشار قبائل بمجاطة بينما لم تقر ظواهر السلطان إلا بالإعفاء من الكلف المخزنية والوظائف السلطانية. راجع نص المرسوم: السوسي محمد المختار، المعسول، ج1، ص301.

هؤلاء إلى استعارة علاقات المخزن الجبائية بالرعية في توفير وتحرير الأتباع من الواجب والكلف المقدمة لزواياهم. ومنهم من بلغ نفوذه التحرير من التكاليف المخزنية. وقد وقفنا على مكتوب للحسن بن أحمد التيمكيدشتي يحرر فيه أحد الفقهاء منها ⁽⁴³⁾.

1-4- فقهاء سوس والإفتاء حول الجباية:

لم يكن الإفتاء مجرد إجابات عن نوازل وقعت لأفراد وجماعات كان يسأل عنها أهل العلم، بل جسدت اجاباتها أيضا جانبا من تجربة هؤلاء في إقامة مشاريع مدارس وزوايا، وحياسة الثروات والسلطة والنفوذ. لذلك كانت الفتوى سلاحا في جبي الأعشار، ومقارعه الخصوم عليها، ومؤشرا على علاقاتهم بشيوخ المدارس والزوايا المنافسة وبالمخزن. واهتم فقهاء سوس بالإفتاء في كثير من النوازل المتصلة بجبايات القبائل الموجهة لمشارطة الأئمة والأساتيد ولإطعام المتعلمين، وقد تدرجت من تفاصيل جزئية صغيرة مثل جواز أخذ مال المشارطة من يد الصبي والطالب المتعلم، أو ضرورة تسلمه من ولي أمره ⁽⁴⁴⁾، إلى قضايا كبيرة احتد النقاش حولها في أواخر القرن 19، ومنها الإفتاء بشأن محاربة المخزن الذي استهدف مال المدارس والزوايا بشكل مباشر، أو حول إنهاك الكوائين التي كانت تحول الواجب إليها بكلف المخزن ووظائفه ⁽⁴⁵⁾. وفي وسط ثقل فيه الحواضر، يبدو أن فقهاء سوس لم يعيروا كبير اهتمام لنوازل الجباية في المدن، وفي مقدمتها الجدل الكبير حول المكوس ⁽⁴⁶⁾، فقد كان لهم شأن آخر أغناهم عن الخوض كثيرا في هذه الضريبة، حيث فضلوا مواضيع أخرى تتصل بمجالهم، وتحديدًا في مسألتين اثنتين: توجيه أعشار القبائل للمدارس، وأجرة الفقيه من المشارطة والإفتاء. ومن أهم الأسئلة التي طرحت عليهم: هل يجوز تقديم الزكوات والأعشار إلى المدارس العلمية؟ وهل يجوز نقلها إلى مدرسة أو زاوية خارج القبيلة؟ وهل يجوز للفقيه أخذ أجرة عن المشارطة والإفتاء؟

■ الإفتاء حول أعشار القبائل لفائدة المدارس والزوايا:

في نوازل فقهية كهذه، يكون سؤال الفتوى أكثر قيمة للباحث في التاريخ من الجواب عليه،

(43) تحرير من ابن احمد التيمكيدشتي بتاريخ 8 ذي الحجة 1281/4 ماي 1865. ورد لدى: السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ج3، ص215.

(44) التمنارتي عبد الرحمن، م س، صص 503-508.

(45) سنورد بعض هذه الفتاوى حين الحديث عن علاقة الفقيه بالمخزن أواخر القرن 19.

(46) من علماء سوس الذين أفتوا في المكوس أواخر القرن 19 علي السوسي السملالي، (عناية الاستعانة في حكم الوظيفة والمعونة). مخطوط رقم 48 د، (خ.ع.ر).

(46) جاءت فتوى الحسن بن احمد التيمكيدشتي في سياق رده على خصوم أنكروا عليه أعشارا نفدت له من لدن المخزن. السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج6، صص 278-281.

فإذا كانت الإجابة لا تخرج عما توارثه الفقهاء من أجوبة حول مسائل فقهية منذ صدر الإسلام، إلا أن سؤال الإفتاء في هذه النوازل بصفة متكررة ودائمة، خاصة مسألة جواز تقديم الأعراس والزكوات للمدارس أو نقلها إليها من مواضع أخرى، يؤثر على منافسة حادة بين شيوخ المدارس والزوايا أنفسهم حول أنصبة من أعراس القبائل، فالفتوى لا تتوقف على الجانب الفقهي، بل تصل إلى مستويات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية⁽⁴⁷⁾. وهذه إجابات بعض الفقهاء حول الموضوع:

العالم	القرن الهجري	سؤال الفتوى	الجواب
حسن بن علي الشوشاوي	ق9 (ت. أواخره)	جواز الزكاة للعلماء؟	أجاز الزكاة للإمام والمؤذن والمعلم وإن كانوا أغنياء. واعتمد في ذلك فتاوى علماء ذكرهم ابن رشد في كتابه "المفيد" حول هذه النازلة ⁽⁴⁸⁾ .
أحمد الهشتوكي	ق12 (ت. 1127)	جواز الزكاة للعلماء؟	أفتى باستحقاق العلماء للزكاة ⁽⁴⁹⁾ .
عيسى بن عمر السكتاني	ق11 (ت. 1062)	جواز استحقاق العالم للأحباس؟	العرف في أحباس المغرب الأقصى ألا تخرج عن صنفين: الأئمة والمؤذنون- حملة العلم. الخروج عن الحالتين تغيير للحبس ⁽⁵⁰⁾ .
أحمد بن سعيد المرغيتي	ق11 (ت. 1089)	هل تعطى الزكاة للإمام والمؤذن والمعلم وإن كانوا أغنياء؟	أفتى بعدم الجواز، وهي باقية في ذمته حتى يعيدها.

(47) فتوى الحسن بن أحمد التيمكيدشتي جاءت في سياق رده على خصوم أنكروا عليه أعراسا نفذت له من لدن المخزن. السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج6، صص278-281.

(48) أورد العبادي واحدة من نماذج فتاواه تتعلق بمن تعطى لهم الزكاة: العبادي الحسن، م س، ص106.

(49) ن م.

(50) أفتى في نازلة تتعلق بمسألة الأحباس بالمغرب. راجع نص الفتوى: العبادي الحسن، م س، ص193.

إن كانت عادة فلا تجوز معتمدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم " العادة وأهلها في النار " والقول أن من ذكرهم ابن رشد في كتابه أجازوها محض افتراء ⁽⁵¹⁾ .			
الجواب على النازلة مهم بالنسبة للمدارس والزوايا، فعليه يقوم مبدأ نقل أعشار القبائل من الفروع للزاوية الأم ⁽⁵²⁾ .	هل للغائب حق في الحبس؟	ق 13-14 (ت. 1269)	أبو زيد عبد الرحمن الجشتي
بنا جواز ذلك على نصوص قرآنية وأحاديث تجدها في المعسول ⁽⁵³⁾ .	الرد على المنكرين عليه أخذ أعشار القبائل	ق 13 (ت. 1308)	الحسن بن احمد التمكيدشتي
لم أقف على جواب علماء الحرمين الذين أفتوا في النازلة ⁽⁵⁴⁾ .	استغل فرصة وجوده بالحرمين في الحج ليسأل علماء الحرمين في النازلة	ق 13-14 (ت. 1327)	أحمد بن عبد الرحمن الجشتي

يشير الجدول إلى أكثر المسائل الفقهية التي انشغل واشتغل بها شيوخ المدارس والزوايا، ويتعلق الأمر بجواز تقديم العشر والزكاة إلى مراكزهم، فالجواب كان شديد الأهمية، وعليه كان يتوقف شرط مادي جماعي يعدم هؤلاء غيره في تأسيس مشاريعهم واستمرار وظائفها. وحول فتوى نقل الجبايات من مكان لآخر كان يتحدد مصير كل مدرسة أو زاوية: من مشروع محلي محدود الدور والأثر، أو مركز ممتد في الآفاق تأتية الزكوات والأعشار من مناطق أخرى تسهم في نفوذه الاجتماعي والسياسي، لذلك لا نستغرب الإفتاء في أضيق المنافذ التي تجيز الزكاة

(51) نص إجابته عن النازلة ورد لدى العبادي الحسن، م س، ص 218 ص 219

(52) ن م، ص 301.

(53) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج 6، ص 272.

(54) ن م، ص 87.

للشيخ، ومنها وعاء الشيخ ينوب عن يده⁽⁵⁵⁾.

■ الإفتاء حول حق ضائع:

قدم فقهاء سوس أجرة المشاركة والإطعام من الأعشار، أو ما كانوا يأخذونه من مقابل حين البث في الشكاوى بين المتخاصمين إلى قضية كبيرة: فكانوا يردون على ذلك بأن لهم حق في بيت مال المسلمين من الجبايات الشرعية لم يصلهم، وأفتى بعضهم بجواز أخذ أعشار القبائل للمدارس والمال من المتقاضين في الخصومات، وحجبتهم في ذلك غياب بيت مال منظم، ولا ما يقوم مقامه من الجماعة، وإنما الموجود على حد تعبير أحدهم "بيت ظلم"، وأهل الحيل لأكل أموال الناس كيافاً وجودها من غير مبالاة بالحلال والحرام⁽⁵⁶⁾، وقد كانت هذه حجة زوايا/مدارس كبرى لإجازة أخذ أي مال من القبائل، ومنهم الحسن بن أحمد التيمكديشتي⁽⁵⁷⁾.

2- جباية المدارس والزوايا بسوس: الخطاب والعلاقات:

2-1- وسائل الفقهاء لحيازة أعشار القبائل وخدماتها:

اعتمد المخزن على إدارة محلية كانت في حاجة إلى أشكال الردع والعقاب من حركات ومحلات لخرص الثروات وجمع الجبايات من القبائل، وهي الوسائل التي عدها الفقهاء والمرابطون الذين وظفوا أساليبهم الخاصة لضمان ورود أعشار القبائل وزكواتها واستمرار خدماتها، وكانت على ما يبدو أكثر فعالية من الأسلوب المخزني. وكانت المشارطات في معظم المدارس عقد بين القبيلة والفقهاء قابل للإلغاء بينهما بالتراضي، وقد يصل الأمر أحيانا إلى طرد المعلم. وبالنسبة للمدارس التي أسسها فقهاء⁽⁵⁸⁾، إن كانت مسألة الاستغناء عن الفقهاء غير واردة، فقطع الأعشار عن مدرسته كان شيئا متوقعا. فلم يكتف المؤسسون ولا المشارطون بالاتفاق حول نقل حصص من جبايات القبائل إلى مدارسهم، ولكن عملوا أيضا على البحث عن منافذ وسبل مختلفة لإقناع القبائل بالتزام جبائي دائم. فاستمرار تمويل مشروع المدرسة أو الزاوية كان أصعب من وضع أركانه أول الأمر، مما استوجب جهدا دائما من الشيوخ محوره الإفتاء الفقهي والتراث المنقبي، ونسج شبكة من العلاقات الضرورية مع القبائل و المخزن.

(55) راجع فتوى بهذا الخصوص: الكرسيفي عمر بن عبد العزيز، المؤلفات الفقهية الكاملة، جمع وتحقيق عمر أفا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة 2006، صص 115-120.

(56) صاحب هذا القول إبراهيم بن محمد الظريفي المتوفى عام 1799/1214، راجع ترجمته في المعسول، م س، ج 17، ص 208.

(57) ن م، ج 6، ص 279.

(58) المعهود في سوس حسب المختار السوسي أن تؤسس المدارس على أيدي القبائل لا الأشخاص: المعسول، ج 1، ص 165. وهذا يطرح قضية تحولها من مؤسسة الجماعة إلى ملك خاص.

■ الخطاب الفقهي:

اعتنى الفقهاء بنشر كثير من النوازل الفقهية التي تديم على مدارسهم ورود الأعرار والزكوات من القبائل، فبعضهم أصر على عدم التنازل عن الواجب تحت أي ظرف، فحتى إذا تعذر ورودها بسبب مسغبة أو انتشار وباء، يسجل على ذمة القبيلة أو البلدة لتدفعه في السنة المقبلة أو متى زالت الأزمة، وإن كانت القاعدة الشرعية واضحة في هذا الأمر، حيث يسقط التكليف مع عدم القدرة، وحجة هؤلاء أن تنازل المدرسة عن الجباية يؤدي إلى تراخ أو تمارض في الأداء قد يكون مؤذنا بزوالها⁽⁵⁹⁾. وأفتى آخرون بألا يسقط الواجب إلى المدرسة بهلاك الملزم، فنصيبه في مشاركة الفقيه، أو في إطعام طلبته يتحول بعده إلى بنيه وحفنته، كُتب ذلك في رسم وأشهدت عليه القبيلة أو لم يكتب، فالعادة تحكم. وهذه ثلثة جعلت من كل ملك في سوس عقارا أو ماء سقي أو زرع وغرس يستغل بشكل مباشر بواسطة ورثة الهالك، أو وفوت لاستغلال غير مباشر: رهنا أو مخالطة (الخمس مثلا)، فيه نصيب معلوم متوارث يدفع إلى المدرسة جيلا بعد جيل⁽⁶⁰⁾. وهذا النظام جعل في أملاك أهل سوس أموالا محبسة على مدارسها وزواياها. وبذلك ندرك موقف الفقهاء من ضغط المخزن على القبائل وأخطار ذلك على موارد المادية. ومن عادات المنطقة حين بيع الأملاك، انتقال واجبات البائع اتجاه مدرسة قبيلته أو بلدته للمشتري، لأنه على حد قول عبد العزيز الأودزي، قد اشترى ما فيه وصية مؤيدة للمدرسة أو المسجد⁽⁶¹⁾.

■ الخطاب المنقبي:

شاع بين أهل سوس، في وسط كانت قبائله تتمتع بالفلاحة في معاشها، معتقدات تحفزها على تقديم جباياتها للمدارس وخدمتها، فالي جانب كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبرز فضل الاعتناء بالعلم والعلماء، انتشرت بين القبائل معتقدات من قبيل القرية التي تعدم فيها مدرسة أو زاوية معرضة للجفاف والقحط⁽⁶²⁾، ومن يخدم المدرسة تحصل له البركة في ماله وعياله. وهذا الخطاب كان موجها حتى للطلبة أنفسهم، فالإخلاص في خدمة أملاك الشيخ تظهر بركته في سرعة الفهم والحفظ⁽⁶³⁾. وحول المدارس الكبرى التي زاوجت بين وظيفتها مدرسة

(59) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج 16، ص 109. ج 15، ص 5.

(60) الأودزي عبد العزيز، مخطوط.

(61) ن م.

(62) السعيد المهدى، م س، صص 195-200.

(63) السوسي محمد المختار، المعسول، ن م، ج 18، ص 253.

للتعلم، ودورها زاوية لإحدى الطرق الصوفية راج خطاب مفعم بكرامات وفضائل الشيوخ التي لا يمكن تجاوز وقعها في تحفيز القبائل على خدمة الزاوية، وهذه بعض مناقب الشيخ أحمد بن محمد التيمكيديشتي كما رواها ابنه الحسن في مؤلف عن والده سماه (رسالة الأنوار)، وأخرى كتبها كل من أحمد التاجاكالتي وأحمد بن عمر عن شيخهما الحسن بن أحمد الإيرازانيب الجدول الآتي⁽⁶⁴⁾:

(64) حول سيرة التيمكيديشتي راجع: السوسي محمد المختار، ن م، ج 6. وعن الحسن بن أحمد الإيرازاني: المعسول، ج 19، صص 49-64.

من فضائل وكرامات لأحمد بن محمد التيمكيديشتي من خلال مؤلف (رسالة الأنوار)

الصفحة من المعسول الجزء 6	الفضائل والكرامات
180	رجلان منعا ماء السقي على الشيخ ففقات عينا أحدهما و قطع رجال الطريق على زواره فقتلوا واحدا بعد واحد في أيام قليلة.
180	أمر أحدهم بإحسين يدعون الناس لجمع مئونة إلى الزاوية بالصمت فكسر فمه برصاصة، ثم تاب بعدها. ونهب أناس كباشا للزاوية ففرقهم الله وقتل بعضهم ببعض.
181	قبيلة خدمت مقامه دون جارتها فأصلح الله زرع الخادمين، وقحط زرع الآخرين، وكلاهما في نفس المكان.
181	دعوة مستجابة لكثيرين يصلونه إذا بيست أشجارهم وغارت عيونهم. يطلب منه الناس المطر فلا يقومون حتى يرسله الله. ويحرث سكان جهة للشيخ بجميع بهائم حرثهم، فيرسل الله المطر لأرضهم دون الممتنعين عن الخدمة.
181	فرق صوفاء على قوم، فقبل البعض غزله، وأبى البعض الآخر، فسرحت غنمهم، فأكل الذئب غنم الممتنعين، وسلم الله غنم الآخرين.
182	علم الشيخ قدوم القائد بومهدي إلى سوس، وأخبره باندحاره ونكبته قبل وقوعهما.
193	عهد من الرسول على دوام السر الأعظم في ذرية الشيخ إلى يوم القيامة.
202	قبيلتان متحاربتان إحداهما أوشكت على الهزيمة، فحمل أعيانها الهدية للشيخ، لينتهي العراك لصالحهم وهزيمة الأعداء.
204	من جمع أعشار حبه في مسكنه تحت يده، وأعطى النزر للزاوية، فخر السقف عليه، واختلط الزرع بالتراب فلم يحصل به نفع.

**من فضائل وكرامات الحسن بن أحمد الإبرازاني من خلال روايتي
أحمد التجاكالتي وأحمد بن عمر**

الصفحة من المعسول الجزء 19	الفضائل والكرامات: رواية أحمد التجاكالتي
51	من خدم زاويته وأحب أولاده وتلاميذه وفقراءه أحبه الله، وسار من أهل الجنة.
51	من مد يد السوء للزاوية شنت الله شمله وكسر كسرا لا جبر له.
51	من خدم زاويته في البنيان والحرث والحطب والتسخير على الأضياف والفقراء حرم الله جسده على النار.
51	من زار زاوية الشيخ ووصل حتى داخلها حرم الله جسده على النار، فإن كان يهوديا ختم الله له بالإسلام.
الفضائل والكرامات: رواية أحمد بن عمر	
53	في زمن الصراع بين التكميديشتي والشيخ الإبرازاني رأى أحدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له من قرأ على يد الحسن بن أحمد الإبرازاني دخل الجنة.
54	إطعام الزوار والفقراء أربع مرات في اليوم من كرامات الشيخ.
64	اشترى الشيخ أرضا ليبني فيها لتلاميذه المتزوجون فعارضه أهل رزانة فكانت عاقبتهم حلول المخزن بأرضهم وإجلالهم عنها بعد أكل مالهم بقيادة الباشا حمو وأحمد الصويري.

اهتم باحثون كثر بالفائدة التي يمكن أن يقدمها الأدب المناقبي لإعادة كتابة التاريخ المغربي⁽⁶⁵⁾، وفي مجال مثل سوس، فإن البحث في هذه القضية له أهمية كبرى، وذلك للدور الذي كان للمنطقة في تاريخ التصوف في البلاد، لكونه واحدا من أهم الأماكن المحتضنة لأولى الرباطات وبعدها الزوايا في البلاد⁽⁶⁶⁾.

لم يكن الأدب المناقبي خطابا مجردا ومغلقا لا يكاد يتجاوز حدود العلاقة بين الشيخ والمريد، ولكن شكل مكونا أساسيا تجاوز أسوار الرباطات والزوايا، ليمتد في مختلف بنى المجتمع، إذ كان عنصرا فاعلا في أشكال السلطة والنفوذ وطبيعة العلاقات داخل القبائل، وحافزا دفع الكوامين لخدمة الزوايا، وتقديم الأعشار والزكوات، كما أسهم هذا الخطاب في حصول كثير منها على ظواهر تنفذ إليها أعشار القبائل. لقد كانت الكرامة والمكاشفة والرؤيا... جزءا من خطاب كثر تداوله قرون عديدة، ونحن هنا لا نروم تصديق الكرامة أو إنكارها، فهذا موضوع لا يعنينا، ولكن القصد استجلاء القيمة التاريخية التي يمكن أن يقدمها الأدب المناقبي للباحث في التاريخ، وهو ما يمكن أن نخلص إليه من خلال مستويين:

✓ مستوى أول يعنى باستخلاص بعض المضمرات التاريخية للنص المنقبي، وحاجتنا هنا إلى ما يتعلق بالجباية في الفترة التي نستهدفها، فالكرامة تقدم إشارات حول العلاقات الجبائية للزاوية مع القبائل: أعشار وزكوات، ثم كلف قي جميع مراحل الإنتاج الفلاحي، وحتى خدمات حرفية (غزل الصوف وحيافته لفائدة الزاوية)، والعمل في أملاك محبسة... ثم يمكن استخلاص بعض المشاكل التي واجهتها جباية الزوايا، خاصة رفض الخدمة، وهو موضوع يبدو أن المصادر المحلية (وهي في مجملها مصادر الفقهاء والمرابطين) استكفت من الخوض فيه بشكل مباشر، لكن يمكن قراءته من خلال تراث مناقبي يعد كذلك منفذا للبحث في أحداث تتصل بعلاقات الزاوية مع أطراف أخرى، ومنها:

• علاقة الزاوية بالمخزن: كانت سطوة المخزن أو اندحار قواته جزءا من كرامات شيوخ الزوايا: فنزول القائد الحاحي بومهدي إلى سوس وفشل محلته، عده الحسن بن أحمد التيمكيدشتي من كرامات والده في حماية قبائل كانت تخدم زاويته. بينما تمثل مريدوا الحسن بن أحمد الإيرازاني محلة أخرى قادها الباشا حمو وأحمد الصوري من كرامات شيخهم في معاقبة قبائل كانت تعادي

(65) نوقشت مقالات هذه القضية في أعمال ندوة بعنوان: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1988.

(66) زنيير محمد، كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس، مجلة البحث العلمي، عدد3، ص120.

زاويتهم وترفض خدمتها⁽⁶⁷⁾.

• علاقة الزاوية بزوايا أخرى أو بالفروع: ولهذه الغاية تعمدنا اعتماد أمثلة عن التراث المنقبي للزاوية الناصرية: فقد كانت بينهما منافرة اختزلها المختار السوسي في أسباب شخصية بين الشيخين، لكن في حقيقتها نزاعا بينهما حول أعشار القبائل. ولعل تشابه الخطاب حول الخطاب المناقبي بينهما كان من وسائل المنافسة حول المكانة والحظوة وجباية القبائل.

✓ ومستوى ثان يتعلق بوقع هذا التراث على المجتمع الذي تداوله وتفاعل معه بشكل مباشر ودائم لقرون طويلة، خاصة مع غياب مراكز دون الزاوية والمدرسة العلمية تنتج غير المعرفة والثقافة والذهنيات، وتتنافس في العلاقة مع القبائل، بل كانت هذه ذاتها تمول بجباياتها إعادة نفس الخطاب الذي زواج بين كرامات الأشياخ في المكافأة والعقاب، فبات دفع الواجب إلى المدارس والزوايا ليس مجرد التزام جماعي تفرضه نظم القبيلة وأعرافها، ولكن أيضا بفعل ذهنية تأصلت، محورها رغبة في بركة المرابطين أو رهبة من غضبهم.

■ الموسم مناسبة للترويج إلى المدرسة:

كان على الفقيه أن يقدم ثمار مشاركة القبائل في مشروع مدرسته، ولا شيء أفضل من المواسم فرصة لإظهار القطار، فقد وصف المانوزي طقوس المنافسة الحادة بين المدارس العلمية بسوس زمن المواسم، حيث كانت كل مدرسة تهيي طلبتها قبل المناسبة بوقت طويل: شكلا، مثل نظافة الجسد وجديد الهنّام، وجوهرها، خاصة ما يحفظه الطلبة من القرآن بقراءاته السبع أو العشرة، الفقه، اللغة، فتخصص في كل موسم أوقات معلومة للمنافسة في مختلف العلوم، وكان الفشل يعني الطرد للطلبة، وسبة في وجه المدرسة في محج القبائل. وعلى النقيض من ذلك تزداد سمعتها بحسب نجابة طلبتها⁽⁶⁸⁾. وحسب شهادة المانوزي الذي خاض التجربة طالبا بضغوطها النفسية، كان يتوقف على أداء طلبة المدرسة أيام المواسم زيادة الاعتناء بها،

(67) في كرامات الإيرازاني نجد مصطلحات مخزنية، ومنها قوله "أنا وأتقياء أمتي براء من التكليف": المعسول، م س، ج19، ص49.

وقد استكشف المختار السوسي من الحديث عن الصراعات بين شيوخ المدارس والزوايا بسوس، إلا أن قلم الرجل كان يسهر أحيانا ويقدم إشارات كثيرة عن أحداث وقعت بين هؤلاء، وحاول أن يرجع أسبابها إلى خلافا شخصية. لكن يبدو أن لها دواع أهم تتصل بالمكاسب المادية والسلطة والنفوذ، وهذه كلها لها ارتباط مباشر بأعشار القبائل وزكواتها. ومن بين هذه الإشارات: صراع بين الحسن بن أحمد التيمكيدشتي وأحد فقهاء في تيمكيدشت وبين الحسن التيميلي الإيرازاني، المعسول، ج6، صص170-277. ومنها الانتقاد اللاذع من شيوخ الناصرية أمثال العربي الأوزي والمدني الناصري لأنصار الطريقة الدرقاوية: المعسول، ج13، ص7. وكذلك منافسة بين قسمين من المرابطين في إلغ: والزوايا التيجانية وعلى رأسها علي بن عبد الله اللّلي والزاوية الدرقاوية بزعامه علي الدرقاوي: المعسول، ج1، ص233.

(68) سيرة محمد بن أحمد المانوزي. راجع: السوسي محمد المختار، م، ج6، صص169-272.

ونقل أنصبة جباية جديدة إليها. وهذا دأب قبائل هشتوكه وهوارة وماسة وأيت باعمران⁽⁶⁹⁾.

هذه بعض وسائل شيوخ المدارس والزوايا لحيازة جبايات القبائل أو نصيب منها إلى مدارسهم وزواياهم، لكن لجأ حفدة هؤلاء أيضا إلى السلاح. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر شهدت زوايا كثيرة صراعات مسلحة بين نسل الأشياخ المؤسسين على جبايات القبائل المحبسة على مراكزهم، و يبدو أنها وسيلة لم تقدم سوى نتائج عكسية على نفوذهم وموارد مراكزهم⁽⁷⁰⁾.

2-2- الجباية في علاقة المدرسة/الزاوية بالمخزن:

شكلت الجباية أحد أركان علاقة المخزن بمدارس سوس وزواياه. فقد كانت تعبيرا على اعتراف المخزن بنفوذها وخدماتها المقدمة إليه، بينما كان إثقال القبائل بالكلف والوظائف يعني بشكل مباشر استهداف لمداخلها الجبائية التي حافظت لقرون على وظائفها وأدوارها.

■ علاقة انتلاف:

لم تكن المدارس العلمية بسوس بدون ظهائر المخزن تتحصل سوى على نصيب من أعشار القبائل لا يتجاوز في أحسن الأحوال الثلث، لذلك شكلت ظهائر التوقير والاحترام فرصة لاستفادتها من الواجب كاملا. لكن الإنعام كان سلاحا ذو حدين يحول المدرسة أو الزاوية من مؤسسة قبلية مستقلة بشؤونها إلى أخرى خاضعة للمخزن: فمضمون الظهير يشير إلى تكليف سلطاني للفقهاء أو المرابط بجمع الواجب وتوزيعه على الطلبة والفقراء، ويزيد من قيمة هذه الظهائر ومفعولها على المدرسة أو الزاوية ضرورة تجديدها عقب كل سلطان هالك، وأحيانا أكثر من مرة في عهد نفس السلطان، و الحاجة إلى التجديد تجعل مصير المدرسة أو الزاوية مرتبطا بالمخزن، فكما أنعم قد يلغي. مما فرض عليها مبادلة الإنعام بخدمات للمركز: استخبار وتقصي حقائق، أو إخبار وإبلاغ، أو تحفيز القبائل على الخدمة المخزنية، أو الوساطة والتحكيم بين الأفراد والجماعات مما يزيد من فرص الأمن، ويغني المخزن عن حراك دائم لفرض الطاعة وأمن محاور التجارة ومراقبة الأطماع الأوربية على الساحل الجنوبي.

لم يكن الإشعاع الذي وصله نفوذ المخزن بسوس عقب حركتي المولى الحسن ليخفي معضلة كبيرة جعلت سياسته الجبائية ومن خلفه من السلاطين عاجزة عن تحقيق مقاصدها بالمنطقة، ويتعلق الأمر بمن يحوزون ظهائر التوقير والاحترام، فمنذ عهد هذا السلطان اشتكى

(69) السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م ن، ج3، ص172.

(70) راجع الصراعات المسلحة بين حفدة الزاوية التيمكيدشتية بعد وفاة شيخها الحسن بن أحمد التيمكيدشتي: السوسي محمد المختار، المعسول، ن م، ج6، صص 304-319.

بعض القواد من امتناع عدة عائلات عن أداء الجباية مستظهرين في ذلك بظواهر سلطانية، فما كان جواب المخزن إلا معاملة هؤلاء على العوائد "لأن خرقها من أشنع الزوائد"⁽⁷¹⁾، بالإضافة إلى أوامره للعمال بأن يحصوا الموقرين تمييزاً لهم عن العامة، لكن العملية لم تسلم من عوائق: فمهام عمال المخزن بسوس لم تعد تتوقف على خرص الكوامين ووسائل الإنتاج والمحاصيل، بل زاد عليها أمر سلطاني يلزمهم بإحصاء من حضوا بظواهر التوقير والاحترام⁽⁷²⁾، ومن صعوبات المهمة اختلاف الظواهر في مضمونها، فهناك من حرروا من التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية فقط، وآخرون زادوا عليها تنفيذ الأعراس. من ناحية أخرى، لم يقتصر تجديد الظواهر من لدن المولى الحسن على الموقرين زمن أسلافه من السلاطين العلويين، بل زاد عليهم حتى من حضوا بها في عهد من "نحبر من أمراء المسلمين"⁽⁷³⁾. كما أن السلطان لم يجدد هذه الظواهر في حركته إلى سوس وحسب، بل أنعم بها على عائلات أخرى كثيرة⁽⁷⁴⁾، ثم أن كل الظواهر بدأ تنفيذها لأفراد وأولاده، لكن بتوالي الأعوام تتوسع الشبكة من أسرة لأسر، ومن أسر وعائلات لتصل إلى مداشر وفروع من قبائل بأكملها، وقد يشمل الإنعام عبيد الزاوية وحراطينها، بل حتى بعض تلاميذ ومريدي الشيوخ⁽⁷⁵⁾. ولا يتوقف توسع شبكة المنتفعين بالتوقير والاحترام على الأشياء ونسلمهم وبعض خدامهم، فهناك إشارات على توظيف إنعامات على مقربين لهذه الأسر، وخاصة من الفقهاء، باستئذان من المخزن المركزي⁽⁷⁶⁾، حيث يتخذ شيخ الزاوية صفة أشبه بالسلطان في التحرير⁽⁷⁷⁾. ووجب الانتباه كذلك إلى تاريخ طويل من العلاقات بين مدارس سوس وزواياه مع القبائل، خاصة الحبس المؤبد في مختلف أنواع الأملاك ماء وأرضا وغلا

(71) رسالة رد من المولى الحسن إلى القائد أحمد أصواب الباعمراني بتاريخ 5 ذي الحجة 1301/ 26 شتنبر 1884: أرفاك شفيق، م س، ص 415.

(72) رسالة من المولى الحسن إلى العبوبي بتاريخ 23 شوال 1300/ 28 غشت 1883. كناش، رقم 117، ص 46، (خ.ج.ر). وأمر المولى عبد العزيز كذلك عاملة في السوس الأقصى سعيد الكيلولي بإحصاء الموقرين في إيلاته، لكن رسالة من المركز تؤكد تأخر هذه العملية حولين كاملين: رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى عامل سوس الأقصى سعيد الكيلولي بتاريخ فاتح جمادى الثانية من عام 17/1316 أكتوبر 1898. أبكر مليكة و بابيش مبريكة، وثائق عن سوس: تخريج وتصنيف، بحث لنيل الاجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ احدى محمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، موسم 2001/2002، ص 129.

(73) رسالة من المولى الحسن إلى باشا مكناس الباشا حمو بن الجيلاني بتاريخ فاتح رمضان 17/1299 يونيو 1882. وردت لدى: ابن زيدان عبد الرحمن، الإتحاف، م ن، ج 2، ص 217.

(74) ممن حضوا بظهير توقير واحترام لأول مرة مرابطي إلغ أعيان من الساقية الحمراء: ابن عزوز حكيم، م س، صص 87-166.

(75) راجع الإمتداد الذي وصله ظهير توقير واحترام من المولى عبد الله بن اسماعيل لآل موسى الجشتميين بتاسكدالت بتاريخ 10 من رجب من عام 1150/ 3 نونبر 1737. الظهير رقم 3، ملحق الوثائق المخزنية.

(76) توصل محمد الحسن الكلوي بظهير تحرير من الوظائف السلطانية والكلف المخزنية فقط لأنه يحمل صفة "صاحب الفقيه محمد بن العربي الأودزي": ظهير حسني بتاريخ متم رجب 4/1303 ماي 1886. عن: السوسي محمد المختار، المعسول، ن م، ج 5، ص 206.

(77) نموذج عن هذا التحرير: السوسي محمد المختار، ن م، ج 10، ص 10.

على هذه المؤسسات⁽⁷⁸⁾، وهذا يعني أن جباية المخزن تستهدف مواردها بشكل مباشر حتى وإن لم يفرض على شيوخها رايالا واحدا.

جعلت هذه الأسباب عملية إحصاء الموقرين بالغة الصعوبة. ومن جهة أخرى استمر السلطان في سياسة اللين والهويني مع هؤلاء انطلاقا من مبدأ الحفاظ على العادة⁽⁷⁹⁾، وإن سبقت محاولة منه لخرقها بمواضع أخرى حين فرض الترتيب، وبعد وفاته باتت معضلة الاستظهار بالتوقيع والتحرير أكثر سفورا، حيث اشتكى عامل السوس الأقصى سعيد الكيلولي في العهد العزيزي من هذا المشكل الذي شكل في نظره عائقا كبيرا أمام الخدمة المخزنية بسوس⁽⁸⁰⁾. وراسل المخزن المركزي في هذا الشأن بأكثر من شكوى، ونال المرباط المدني بن الحنفي شيخ الزاوية التيمكدشتية النصيب الأوفر من الشكايات المرفوعة إلى السلطان، أو بالأحرى إلى وزيره أحمد بن موسى، وبحسب ما جاء فيها فإن المرباط يسعى في إفساد كوانين القبائل، وتحريضها على عدم الإذعان للجباية المخزنية⁽⁸¹⁾، وأنه لم يقصر من الهرج في مواضع كثيرة في سوس⁽⁸²⁾، وبلغ الاتهام مداه باعتباره يضع اليد على كوانين أعشارها غير منفذة له ولا لأسلافه⁽⁸³⁾. وبالمقابل كان مقدم الزاوية ينفي كل التهم، وتأكيد التحرير له ولأسلافه في كل القبائل حيث نزاع فروع زاويته مع عمال المخزن⁽⁸⁴⁾.

ولم تكن الاتهامات المتبادلة بين سعيد الكيلولي والحنفي بن المدني التيمكدشتي سوى مثال عن شكاوى كثيرة متبادلة بين ممثلي المخزن والمرباطين، ويكفي فقط اطلاع أولي على الكناش رقم (474) بالخرانة الحسنية لرصد عدد مهم من الرسائل في الموضوع تعبر عن سياسة المخزن

(78) عبد العزيز الدوزي، م س.

(79) السوسي، محمد المختار، المعسول، م س، ج14، ص 111.

(80) ذكر الكيلولي في رسالة له إلى المركز: "لا تخلوا قبيلة من زوايا يحاشون في المغارم المخزنية"، بتاريخ متم القعدة 1/1317 أبريل 1900. (و.م.أ.).

(81) رفع الكيلولي رسائل كثيرة إلى المركز حول الموقرين، واتهمهم بقوله: "لا واحد منهم تصدق عليه علامة التوقيع". راجع: رسالة من سعيد الكيلولي إلى السلطان بتاريخ 6 جمادى الثانية من عام 1896/1314. المحظة 243، (خ.ح.ر.).

(82) رسالة شكوى من حمو بن الجيلاني على الحسن بن أحمد التيمكدشتي إلى المركز بتاريخ فاتح رمضان 1314/3 فبراير 1897. (و.م.أ.).

(83) رسالة شكوى من أحمد أمالك أحد شيوخ إداوزال على الحسن بن أحمد التيمكدشتي بتاريخ 27 محرم 1314/8 يونيو 1896. (و.م.أ.).

(84) نفى الشيخ التهم وأكد حيازته لظواهر تنفذ له أعشار القبائل المشتكى حولها ومنها: أرزان وإداوزال وهوزالة: رسالتان حول نفيه التهم: أولى بتاريخ 5 ذو القعدة 7/1314 أبريل 1897. وأخرى في منتصف جمادى الأول من عام 1314/22 أكتوبر 1896. (و.م.أ.).

المركزي الجبائية بسوس عقب وفاة المولى الحسن⁽⁸⁵⁾، والتي تميزت بالشدة، ولم تستثن حتى أموال المدارس والزوايا. وقد كان لسياسة المواجهة التي تبناها الوزير أحمد بن موسى والعمال الذين أوكل إليهم شؤون سوس أبعادا خطيرة على علاقة المخزن بالمدارس والزوايا، والتي لم يقصر رد فعلها على الاحتجاج وحده.

■ علاقة مواجهة:

تضررت علاقة المخزن بالفقهاء والمرابطين بسوس كثيرا بفعل سياسته الجبائية في المنطقة بعد وفاة المولى الحسن، وهي سياسة كان المولى عثمان والباشا حمو بن الجيلاني وسعيد الكيلولي عمداؤها. فما من شك أن أعشار القبائل كانت إحدى أهم أسباب الخلاف والصراع بين الطرفين. وقد تراوحت ردود فعل أشياخ المدارس والزوايا المعارضون للضغط الجبائي الكبير على سوس بين الاحتجاج أو الإقواء بجواز قتاله، بل وصلت في بعض المواضع إلى محاولات لإعادة علاقة النفاليس بالفقهاء والمرابطين إلى سابق عهدها.

أ- الاحتجاج:

يعد المانوزي من الذين خلفوا أثرا مكتوبا لاحتجاجهم على سياسة المخزن الجبائية، حيث ذكر أن نفوذ السلاطين لا يبقى معه زكاة ولا عشر للفقهاء، ولا سيادة لهم في أوطانهم، فتصير المدارس بذلك خرابا يبابا، فعادة السلاطين أن: "يجمعوا الزكوات والأعشار، فيضعونها في صناديقهم، ويجعلونها في غير استحقاقها وغير موضعها فينصرفون إلى عواصمهم: مراکش وفاس أو غيرهما، ويصرفونها في الفروج والسروج لا غير، وإذا وقع ونزل بعض الإصلاحات منهم لبعض الشؤون المادية أو الأدبية، فمحله في نظرهم تلك العواصم، حيث يدورون هم وأزواجهم وعبيدهم وخدمهم وحشمهم، من غير التفات إلى ما يهم سوسنا من الشؤون الدينية والدنيوية، فلا يتعرضون لبناء جامع أو مدرسة ولا مكتب ولا زاوية إلا لغرض من أغراضهم، من تشوف إلى بعض نوي الوجهة من العلماء أو غيرهم [...] فبذلك اجتهد علماء سوس المتقدمون والمتأخرون [...] في قطع ذلك النفوذ المؤدي إلى الإجحاف بسيادتهم ومدارسهم وما يمس كرامتهم [...] على أنهم كانوا يدعون لسلطين الوقت على المنابر وينصرونهم في المواسم والأندية، ويعتقدون أن مخالفتهم شقاق، ولكن متى قعدوا منهم مزجر الكلب أو لم

(85) الكناش 474 (خ.ج.ر). اشتكى الأمناء أيضا من الاستظهار بظواهر التوقير والاحترام، وشاعت عبارة "وكل من له ظهير شريف يدرج أقاربه وأصهاره" في الوثائق المخزن حول سوس عقب وفاة المولى الحسن. مثال لهذه الوثائق: رسالة من أمناء تارودانت إلى المركز بتاريخ 14 الحجة 1318/16 ماي 1897 (و.م.أ).

يطلبوا منهم قلامة ظفر، وإلا فهم سلاطين جور يحل عندهم قتالهم ومدافعهم عن أوطانهم" (86).

يطرح المانوزي في احتجاجه على سياسة المخزن الجبائية بسوس أكثر من قضية: أن مصير الأموال التي تجبى للمخزن من القبائل مؤثر على فساد المخزن المركزي، مميزا بين مناطق تستفيد من عائدات الجباية المخزنية (العواصم)، وأخرى مهمشة حين الإنفاق (الجنوب ومنه سوس). ويقدم الرجل أيضا أبعاد سياسة المخزن الجبائية ووقعها على المدارس والزوايا، فضغط المخزن على القبائل لا يمثل تهديدا لمواردها المادية وحسب، ولكن يشكل أيضا استهدافا لسيادة ومكانة الفقهاء والمرابطين في مواضعهم. وهناك قضية اختلاف مفهوم الطاعة بين المخزن والفقهاء: فالطاعة بالنسبة للمخزن لا تعني غير أداء الجباية. أما إلترام الطاعة في نظر الفقهاء والمرابطين مشروطة بتوقيع المخزن لجبايات مدارسهم وزواياهم.

وهناك من الفقهاء من تجاوز الاحتجاج على المخزن وانتقاد سياسته الجبائية في سوس إلى الإفتاء بجواز قتاله، لكن مثل هذه الفتاوى لم تكن مبادرات شخصية بقدر ما كانت تعبيرا على مواضع استقرار أصحابها وانتماؤهم القبلية، وتاريخ الحضور المخزني بمواطن تواجد مدارسهم وزواياهم.

ب- الإفتاء بالدفاع عن النفس:

اختلف الفقهاء حول مقابلة من تعدى من رجال المخزن، فانقسموا إلى فريقين: فريق لم يبح قتاله، ورأى أنه مادام متمسكا بالدين الإسلامي فإن طاعته واجبة، وإن جار وظلم وطغى وتعدى وبغى، ولأنه أقوى شوكة وأشد سطوة، ومن قويت شوكته وجبت طاعته. والفريق الثاني المبيح لقتاله، قال أنه إذا كان ظالما جائرا يقتضي أكثر من الزكوات والأعشار في الأموال، ولا ينهى عن هتك الأعراض وسفك الدماء في جميع الأحوال، فطاعته غير واجبة، على أنهم انسوا من القبائل قوة وشدة في رد شكيمته (87).

ومن الفقهاء الذين أفتوا بقتال رجال المخزن زمن القائد سعيد الكيلولي بسوس، عبد العزيز الأدوزي، لكن لا يعني قتالهم نكث خلافة السلطان ولا عزله ولا منع دفع الزكاة إليه، ولا ما يدفع لبيت المال (88)، وعلى السلطان ألا يقاتل إلا من بغى عليه بهاتين، وما عداهما يجوز للرعية ما

(86) راجع سيرة محمد بن أحمد المانوزي: السوسي محمد المختار، م س، ج6، صص 278-279.

(87) سيرة محمد المانوزي. عن: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، ص264.

(88) عبد العزيز الأدوزي، مخطوط.

أسماء الدفاع عن النفس إذا طلبت به، وقال أن بهذا ملئت دواوين الفقه. فذكر فتاوى تبرر قتال المخزن⁽⁸⁹⁾.

وقد أثارت فتواه مسألة شائكة في التاريخ الإسلامي، وتهم مصير أراضي الخراج. حيث رد الفقيه بلغة غاضبة وحادة حول دعوى أحدهم بأن أرض سوس فتحت عنوة، بالتالي حكمها حكم أراضي الخراج، وهو ما يبرر أي شدة في جبي الأموال، وأي عطاء قائم على تقدير السلطان، فقال: "...فإن قلت أرض السوس فتحت عنوة وخارجها لببيت المال فهو دين ترتب في ذممهم واستغرق أموالهم فهي برمتها حلال السلطان، قلت بذلك يقول من أضله الله على علم واتخذ إليه هواه. أي أرض في سوس فتحت عنوة أسهلها أم جبلها، وفي أي زمن فتحت، ومن فتحها، ولا يجد ذلك إلا أن يجد الأبلق العقوق...بل يحكم أن الأرض تورث وتباع وتوهب، وأنها مملوكة لأهلها يتصرفون فيها كيف شاءوا"⁽⁹⁰⁾.

ويبدو أن مواقف فقهاء سوس كانت في مجملها ضد العملية العسكرية التي قادها الكيلولي إلى المنطقة، باعتبارها تهديدا جديا للمكاسب المادية والمعنوية التي حرصوا على حمايتها منذ قرون، لكن تفاوت الفتاوى فرضته إكراهات أخرى، وخاصة الاعتبارات الجغرافية، فمعظم المواضع السهلية والقريبة من حاضرتي المخزن بتارودانت وتزنت، كانت سهلة على الجيش المخزني، إلى جانب أن أهلها اعتادوا حضوره، وتقل سياسته الجبائية، لذلك أفتى فقهاؤها بوجوب طاعة المخزن من منطلق من قويت شوكته وجبت طاعته، خاصة مع ما تعنيه المعارضة من خسائر مادية قد تهدد المدرسة/الزاوية في وجودها. على عكس المواضع والمواقع الوعرة والبعيدة، التي احتمت فتاوى الفقهاء بهذين المعطين الطبيعيين، كما عبرت عن ذهنية قبائلها حديثة العهد بالمخزن.

ت- حنين إلى عهد سابق:

يبدو أن بعض القبائل حينما ثارت على المخزن بعد وفاة أحمد أنفلس، خليفة الكيلولي بسوس الأقصى، لم تكتف بالتمرد والتكيد بكثير من خدام المخزن وأعاونهم، ولكن تزعم بعض الفقهاء والمرابطون محاولات لإعادة الوضع بسوس إلى ما كان عليه قبل السياسة المخزنية في

(89) نفسه.

هناك نقاش وجدل كبير حول مسألة الخراج في تاريخ الجبابة بالمغرب، راجع بعضا من ذلك ما كتبه ميشو بيلير: Michaux-Bellaire. L'organisation des finances au Maroc. Publication de la mission scientifique du Maroc. Tom VI. Ernest Leroux, 1907.

(90) عبد العزيز الأودزي، نفسه.

عهد أحمد بن موسى والقائدين الحاحيين، ومن هؤلاء الفقيه ابن عايور الذي كتب عنه المختار السوسي نقلا عن محمد بن أحمد المانوزي قوله أن أهل سوس أسسوا: "... قواعد وحتموا اعتبارها، وقوانين أبدنوا أعمالها وإقرارها، ورتبوا حاجيات الأموال فيمن تعرض لأحد ذهب لأسواقهم أو مواسمهم أو حصونهم المخزون فيها مؤنتهم وأمتعتهم، أو تعرض لفقيه أو طالب علم، أو بسب أو شتم، أو تعرض ليهودي في ملاحه أو في طريقه، أو سرق أو جنا جروحا أو سفك دماء وغير ذلك، وشددوا في ذلك وعينوا النفاليس أعضاء الجمعية في كل قبيلة تجتمع في مدرستها عند وقوع تلك النوائب، ويكون الفقيه المدرس في المدرسة هو الحاكم الأكبر المرجوع إليه في الأمور الشرعية"⁽⁹¹⁾.

نستفيد من رواية المانوزي أن الثورات التي عرفها سوس عقب انسحاب الكيلولي أو النفلوسي لم تكن مجرد انتفاضات "عفوية"، بل كان للفقهاء والمرابطين دور في التمرد على شطط خدام المخزن، في الوقت الذي باتت فيه مكانتهم الروحية والمادية أكثر تهديدا من القواد. لكن نذكر أن علاقة الفقهاء والمرابطين في سوس بالتمردات المحلية لم تكن جديدة على المنطقة⁽⁹²⁾. من جهة أخرى، لا يعني قضاء الفقهاء على المخزن المحلي اقتراح تنظيم إداري جديد في سوس، وإنما عودة إلى الوضع السابق زمن الشغور المخزني: زمن عوائد العلاقة بين المدارس والزوايا مع نفاليس القبائل، ويؤكد هذا القول اهتمام الشيوخ بتعيين النفاليس وتشديدهم على ذلك، ليعيدوا بذلك وضعاً قديماً حافظ على مكانتهم وأعشار القبائل إليهم. لذلك ركز ابن عايور ومن كان معه من الفقهاء على إجراءات تكفل هذه المكانة:

❖ فرض الأمن لإعادة حركة الأسواق و المواسم وحصون التخزين.

❖ إعادة الاعتبار لحرمة الفقيه المدرسة والطلبة.

❖ اتخاذ المدارس والزوايا مرجعية لإدارة الحياة العامة بالقبيلة بدل القائد وداره.

لم يكن ابن عايور بهشتوك استثناءً، فقد كان هذا دأب كثير من فقهاء ومرابطين سوس مع قبائلهم خلال هذه الفترة، مما يفسر درجة التنافر التي بلغت علاقة شيوخ المدارس والزوايا بممثلي المخزن المحلي "الجائرين"، كونها لم تتوقف عند الإتهام والإحتجاج بأكل أموال هذه المراكز، بل جد كثير من مقدميها في الإفتاء بشأن قتاله، وبلغ الأمر حد المواجهة حتى مع

(91) محمد بن أحمد المانوزي، م س، ص 269.

(92) ذكر المانوزي كثير من هؤلاء زمن الدولة العلوية: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج 3، ص 279. وحول علاقة الفقهاء والمرابطين في سوس بتمردات ضد المخزن راجع أيضاً: الصديقي، إيفاط السريرة لتاريخ الصويرة، م س، ص 15. كذلك: السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ص 85. ثم: الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا، م س، ج 7، ص 196. الضعيف محمد الرباطي، تاريخ الضعيف، م س، ص 118.

فقهاء جاهرُوا الولاء لعماله الحاحيين.

خلاصة

ارتبطت قبائل سوس إلى جانب جباياتها للمخزن، مثل باقي قبائل البلاد، بعلاقات جبائية مع المدارس العلمية والزوايا: منها منتظم زمن الجني والقطاف ومواسم الزوايا، واستثنائي خارج هذه المناسبات. وقد كانت كل هذه المداخل في إطار الوظائف المقدمة من لدن هذه المراكز للقبائل، وخاصة التعليم والإطعام والوساطة والتحكيم وبركة الأشياء لقضاء مآرب الأفراد والجماعات في الأمن والغذاء... واتخذت مداخلها صورة مصغرة أشبه بجباية مخزنية: واجب سنوي، وهدايا الشيوخ، ثم كلف الخدمة في الأملاك الخاصة أو المحبسة على هؤلاء. ووظفت المدارس والزوايا، والتي تباينت مواردها باختلاف إشعاع نفوذها وأهمية أدوارها، وسائل كثيرة زاوجت بين المادي والرمزي للحفاظ على التزام القبائل اتجاهها: من خطاب فقهي وصوفي تراوح بين الترغيب والترهيب، ومتون أعرف محلية تبنت مشروع المدرسة أو الزاوية، وعدت استمراره جزءا من النظام العام للقبيلة. كما كان عليها إقناع الخاصة والعامة بضرورة الدعم ودوام الأداء في كل مناسبة: زمن المواسم وفي الأسواق، وحين جولات الأشياء. واستعانت الكبيرة منها بالمخزن للحصول على ظواهر توقرها من وظائفه وكلفه، أو تنفذ لها أعشار قبيلة أو أكثر.

لقد شهد سوس أواخر القرن التاسع عشر مفارقة واضحة : من جهة بادر المولى الحسن في حركته إلى المنطقة بضخ دماء جديدة في فئة الموقرين، فلم يكتف بتجديد الظواهر حتى لمن حازوها قبل العلويين، وتحديدا في عهد السعديين، بل أقر التحرير أو التنفيذ كذلك لأعيان جدد، ولنا أن ندرك الاتساع الذي بلغته قاعدة هؤلاء، حيث راکمت تاريخا امتد أربعة قرون، متوقفة في بدايتها على أفراد، ثم توسعت بتكاثر نسل الأشياء، لتشمل أقرباءهم وأصدقاءهم وحتى الخدم من عبيد وحراطين، وهو ما أعاق محاولات إحصاء للموقرين في عهد هذا السلطان وبعده. ومن جهة ثانية، اتخذت جباية المخزن بعد وفاة المولى الحسن أسلوب الشدة وإعمال القوة في السهل والجبل لجبي الأموال، مما شكل استهدافا مزدوجا لموارد المدارس والزوايا: استهداف غير مباشر قبل الترتيب العزيمي، حيث كان المخزن يحسب أنه يوقر شيوخها، والواقع أنه هدد محور جباياتها، وهي الكوانين، فبين الكانون وهذه المراكز علاقات مادية قديمة لا تقتصر على واجب سنوي، بل كان في أملاك هؤلاء نصيب للمدرسة أو الزاوية لم يكن ممكنا التخلص منه حتى حين نقل الممتلكات بيعا أو رهنا، وحتى عند اقتسام التركات. وهناك استهداف مباشر بدأ بإطلاق المولى عبد العزيز العنان لترتيب كان من مقاصده التسوية بين الشريف والمشروف،

فشكل ذلك تهديدا لموارد المدارس والزوايا ونفوذ شيوخها. لذا لا نستغرب ردود فعل هؤلاء، التي تراوحت بين اتهام عمال المخزن بأكل أموالها، والاحتجاج على سياسته في جمع الجبايات وأوجه صرفها، إلى مناصرة تمردات على بعض ممثلي المخزن، وأحيانا قيادة بعضها، ومنها محاولات لم تخف رغبتها في القضاء على ممثلي المخزن، والعودة إلى علاقة شيوخ المدارس والزوايا بنفائيس القبائل كما كانت في سابق عهدها.

لم يكن المخزن وحده سبب ما آلت إليه معظم المدارس والزوايا خلال هذه الفترة، فهناك وقع الكوارث الطبيعية المتلاحقة على المنطقة، وانهيار تجار الجنوب تحت إكراه الضغط الإمبريالي مركزيا ومحليا، فضلا عن أزمتها الداخلية بسبب نزاعات نسل الأشراف على الثروة وما بقي من نفوذ. وهو ما كان يؤذن بدنو نهاية مرحلة طويلة من العلاقات والأدوار والوظائف المرتبطة بالجباية المحلية غير المخزنية.

مصادر ومراجع المقال

وثائق ومخطوطات

- 1- وثائق مخزنية مصدرها الخزانة الحسنية جمعها الأستاذ شفيق أرفاك وأشرت إليه في المقال بالعبارة التالية: (و.م.أ)، وهي قيد الفهرسة بمشاركة الطالبين السعيد بوسكة ولطيفة الحساني.
- 2- وثائق حول سوس وردت لدى: أببكر مليكة وبابيش مبريكة، ووثائق عن سوس: تخرج وتصنيف، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ احدى محمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، موسم 2002/2001.
- 3- كنانيش عبد العزيز الأدوزي، تحقيق اليعقوبي مليكة ومعلوي عزيزة، بحث لنيل شهادة الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر 1992-1993.
- 4- علي السوسي السملالي، (عناية الاستعانة في حكم الوظيفة والمعونة). مخطوط رقم 480، (خ.ح.ر).

لائحة المصادر بالعربية المطبوعة

- 1- ابن زيدان عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط، 1990. ج2 و3 و5.
- 2- التمارتي عبد الرحمن، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، مطبوعات السننيسي، 1999.
- 3- السوسي محمد المختار، المعسول، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960، ج1 وج3 وج5 وج6 وج7 وج10 وج13 وج14 وج16 وج18 وج19.
- 4- السوسي محمد المختار، خلال جزولة، المطبعة المهدية، تطوان، (د.ت)، ج3، 4.
- 5- شارل دوفوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بالعربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ج1.
- 6- الصديقي محمد بن سعيد، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، مطبعة دار الكتاب، (د.ت).
- 7- الضعيف محمد الرباطي، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، دار المآثورات، الرباط.

8- الناصري خالد بن أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956. ج 7 و 8 و 9.

9- الكرسيفي عمر بن عبد العزيز، المؤلفات الفقهية الكاملة، جمع وتحقيق عمر أفا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة 2006.

لائحة المراجع باللغة العربية

1- أرفاك شفيق، قيادة تمنارت بين التزام المحيط والسلطة المخزنية (1110-1352/1706-1934)، دكتوراه دولة تحت إشراف الدكتور محمد حمام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، 2007.

2- أفا عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19 (سوس 1822-1906)، مطبعة النجاح الجديدة، 1988.

3- حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، مطبعة الدار البيضاء، 1985.

4- حنداين محمد، المخزن وسوس (1672-1822)، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2005.

5- الراجي خديجة، مساهمة في تاريخ الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس (1460-1564)، رسالة دبلوم دراسات عليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1993.

6- السعدي المهدي، المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الإلغية بسوس نموذجاً، مطبعة فضالة، المحمدية، 2006.

7- الشادلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، سلسلة أطروحات ورسائل، جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا، 1989.

8- العبادي الحسن، فقه النوازل في سوس، قضايا وأعلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

9- المحمدي علي، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي خلال القرن 19: المجتمع الباعمراني وعلاقته بالمخزن 1786-1894، د.د.ع، تحت إشراف جرمان عياش، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1985.

10- عبد الأحد السبني، النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من ق17م حتى بداية القرن 20م، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، 2007.

لائحة المقالات

- 1- زنيبر محمد، كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس، مجلة البحث العلمي، عدد3.
 - 2- كريكوري لازارف، الإقطاعات العقارية في المغرب: مساهمة في دراسة تكوين الممتلكات العقارية البوادي المغربية، ترجمة البزاز محمد الأمين وعبد الله التسماني خلوق، مجلة دار النيابة، العدد 8، 1985.
 - 3- المازوني محمد، وظائف الزاوية المغربية: مدخل تاريخي، مجلة فكر ونقد، الزوايا في تاريخ المغرب، العدد 94.
 - 4- مميشيل نيكولاس، الأملاك الموهوبة لسلالة الصلحاء، ترجمة هشام محمد، مجلة أمل، العدد 22-23.
- Michaux Bellaire (E) : *Conférences Faites Au cours Préparatoire du service des Affaires Indigènes*, in Archives Marocaines, XXVI, 1927.
 - Michaux-Bellaire. *L'organisation des finances au Maroc*, Publication de la mission scientifique du Maroc, Tom. VI .Ernest Leroux, 1907.